14 أكتوبر 14 OCTOBER يومية - سياسية - عامة

الخميس والجمعة - 26-27 سبتمبر 2024م - العدد 17739

www.14october.com

ورقة بحثية لفريق متخصص بشؤون الأمن والجماعات المسلحة

تاريخ القرصنة في البحر الأحمر وخليج عدن من عام 1800م . 2024م الدوافع والتبعات

إيران تهدف إلى جعل نفوذها الحربي عبر جماعة الحوثي كقوى تتحكم في صناعة القرار الداعم لوجودها

صدر هذا العمل عن مركز سوت 24 للأخبار والدراسات في 9 مارس 2024م.

قدمت فيه رؤية علمية عن مكانة البحر الأحمر قديماً وحديثاً في الصراعات الدولية، وهي مقارنة لما يجري اليوم من تصاعد لهجمات جماعة الحوثي في اطار المشروع الايراني لمد النفوذ الجغرافي والعسكري والسياسي عبر ضرب طوق من خلال التصعيد القتالي في المنطقة، وجعل وضع اليمن في حالة التفكك السياسي الذي يذهب بها نحو التقسيم إلى مربعات خارج السيطرة المركزية، وهو ما عملت به ايران في العراق وسوريا ولبنان، وقد برهنت هذه الخطة على صنع الاحتلال من الداخل عبر المد المذهبي ـ الشيعي والذي يعد من الخطط الايرانية، ايديولوجية عقائدية قتالية توسع من نفوذ الخارطة الفارسية عند دول تعد من نقاط التماس في الشرق الأوسط.

نجمي عبدالمجيد

نحن هنا نقف أمام ما جاء في هذه الورقة حول جماعة الحوثي وتصاعد الصراع الاقليمي والدولي في ممر بحري ليس من السهل تجاوزه في حسابات المشاريع الخطيرة والكبرى عند كل قوى ترسم اطماعها نحو جزيرة العرب والقرن الأفريقي بداية من الخليج العربي ومضيق باب المندب وحتى قناة السويس، حيث تهدف ايران إلى فرض حلقات استحكام لقوتها عبر جعل السلاح هو من يتصدر المشهد السياسي في المنطقة حتى تنقلب معادلات المصالح وموازين المواجهة. ومن ينظر إلى جغرافية المشهد يدرك ان المشروع الايراني لن يقف عند حدود اليمن بل هو ذاهب نحو دول الخليج العربي وفي هذا تعمل ايران عبر سياسة النفس الطويل واستراتيجية الزحف عبر أكثر من اتجاه.

من الاطروحات التي جاءت في هذه الورقة، هذا المنطلق الذي يتحرك عليه أحد أهدافهم عبر المخطط الايراني: (يمتلك الحوثيون مقدرات دولة، ويحظون بدعم اقليمي وينفذون هجماتهم في البحر الأحمر تحت غطاء اخلاقي يمس مشاعر ملايين العرب والمسلمين يتعلق بـ«قضية فلسطين» ربما يكون هذا هو الاختلاف الجوهري بين هجماتهم والهجمات التي نفذتها جهات اخرى من غير الدول في الممرات المائية الدولية بغض النظر عن نوايا وأهداف الحوثيين الحقيقية من وراء هذه الهجمات، كما ان استمرار هجماتهم لا يرتبط بمدى قوتهم العسكرية وانما باستغلال قضية فلسطين، وهي أزمة مستمرة شهدت انقساماً بين الدول الكبرى ولهذا نجد ان الموقف الصيني والروسي وحتى الموقف السعودي الداعي إلى خفض التوتر في البحر الأحمر يربط هجمات الحوثيين على الملاحة بالوضع في غـزة. لكن الحوثيين يسعون من خلال ذلك كهدف رئيسي لإعادة رسم صورتهم بين السكان المحليين الذين يتعرضون للقمع والفقر خصوصاً في مناطق سيطرة الجماعة شمال اليمن).

حتى وان لم تكن حرب غزة، لعملت ايران على تفجير الموقف في البحر الأحمر عبر جماعة الحوثي.

هذا الطرح يأتي من منطلق الهدف الفارسي في مد القوة العسكرية نحو هذا الموقع، وللسياسة أكثر من اسلوب وطريق كي تنفذ عرضها.

تهدف ايـران إلى جعل نفوذها الحربي عبر جماعة الحوثي كقوى تتحكم في صناعة القرار الداعم لوجودها، كذلك تعمل على كسر نفوذ الدولة اليمنية في مضيق باب المندب من خططها نحو أهداف مستقبلية.

حتى لا نقف عند الظاهر من هجمات جماعة الحوثي نتجاوز المد في الرؤية، لقد وصلت ايران عبر هذه العمليات الحربية إلى نقاط متقدمة في تحركها، ولعل أهم ما نفذ لها انها عبر السلاح دون تقدم الجنود رسمت حدود قوتها ونفوذها سياسياً وعسكرياً.

وهذه إحدى الحسابات التي ربما غفل عنها البعض في دوامة تصاعد حدة المواجهة؛ لأن المنطق الايراني في هذا العمل يؤكد على أن الأهداف قد مرت بمراحل من الاعداد والتدريب وتجهيز القوة الضاربة والمال السياسي والشحن العقائدي ولقد ادركت ايران ان الحالة التي تمر فيها اليمن بعد خروج حكم علي عبدالله صالح قد أدخلها في منطقة الرمال المتحركة وخلق أكثر من جغرافية سياسية لها حسابات المربعات المنقسمة، قد وضع لها مركزية التوسع في المناطق الشمالية والاستمرارية في وصول السلاح، وهو العامل الفاعل في هذه المسألة وهو في اطار استراتيجية السلاح في العقيدة الايرانية والتي تعد إحدى ركائزها في صناعة الحروب، يجعل قضية تحجيم قوة جماعة الحوثي مسألة تدخل في اطار حروب غير راسمة لها من نهاية في المنطقة، فهي قد تصل بالأحداث نحو الانفلات الذي لا تقدر على التحكم به لا قوى اقليمية ولا دولية؛ لأن اطالة زمن الحرب في محيط يعاني من أزمات طويلة ليست لها من حلول حتمياً سوف تذهب الأمور نحو حرب تضرب دولاً ظنت انها خارج دائرة النار المشتعلة في المنطقة. وأذرع ايران في المنطقة تنفذ سياسات التوسع عبر كسر الحواجز الجغرافية.

وهناك طرح آخر يتطلب منا قراءة لها من الأبعاد ما يعزز فرضية ادامة الحرب في هذا المحور اليمني تقول: (على ان هجمات جماعة الحوثي في البحر الأحمر بدأت في وقت مبكر ضد سفن مرتبطة بالتحالف العربي الذي قادته المملكة العربية السعودية في اليمن في مارس 2015م، لكنها لم تكن بشكلها الحالي نظراً لتواضع قوتها العسكرية حينها. يبدو ان اعادة فتح الموانئ البحرية في المناطق الخاضعة لسيطرة الحوثيين بضغط دولي قد سهل من وصول اسلحة وخبراء ايرانيين إلى تلك المناطق. من الصعب الحديث هنا عن تطور عسكري ذاتي ساهم

كسر نفوذ الدولة اليمنية في مضيق باب المندب من خطط إيران نحو أهداف مستقبلية

استراتيجية السلاح في العقيدة الإيرانية إحدى ركائزها في صناعة الحروب

أذرع إيران في المنطقة تنفذ سياسات التوسع عبر كسر الحواجز الجغرافية

في هذه النقلة النوعية على مستوى العمليات البحرية للجماعة. فعلى رغم ان الموانئ في المناطق الخاضعة لسيطرة الحوثي ظلت مغلقة لسنوات، إلا ان الجماعة لم تتمكن من ممارسة الضغط لفتحها من خلال الهجمات في البحر الأحمر سوى مرات قليلة وعلى فترات متباعدة بخلاف الهجمات التي باتت تنفذ بشكل يومي حالياً وتستهدف ليس السفن التجارية وحسب بل والسفن الحربية).

هنا تساؤل ربما ظل في الزوايا الخلفية من أزمات هذا الصراع لم تذهب إليه الرؤية، وهو هل النفوذ الايراني ظهر في اليمن مع صعود جماعة الحوثي إلى السيطرة ام له امتدادات سابقة ظلت فيها التحركات تزحف تحت الرمال؟!

دون شك فان النفوذ الايراني في اليمن كان له حضور فاعل قبل هذه الأحـداث وذلك عبر تحركات في بعض الاعمال الخدمية التي تقدم لطبقة الفئة الفقيرة والتي ظلت لعقود خارج دائرة النظام الحاكم الذي لم يعمل إلا لمد السيطرة وإدارة الحروب واسقط شروط التنمية التي هي من حسابات حفظ مكانة الدولة عند المواطن.

هذه الفجوة وغيرها قد ساعدت ايران إلى أبعد حد في غزو اليمن وبالذات المناطق صاحبة الحاضنة المذهبية، مع وجود جماعات ارهابية لها قواعد ودعم وحركة قيادة داخل نظام حكم علي عبدالله صالح وكانت له من أوراق اللعب السياسي والـذي قاد في النهاية إلى قلب ركائز التوازنات ليذهب النظام السابق ضحية هذ الأفعال غير القادرة على فرض قوة حافظة لمركز الدولة، وفي زمن الانفلات ذهب كل شيء إلى ما طمحت له ايران في اليمن، واصبحت صنعاء رابع عاصمة عربية في قبضة المد الصفوي والذي سعى عبر حرب 2015م إلى اسقاط عدن تحت قوة البحرية الايرانية، لكن جاء دور المقاومة الجنوبية ودعم التحالف ليكسر هذا الطموح ولو كان جرى فعل السقوط لأحكمت ايران السيطرة البحرية من مضيق هرمز حتى خليج عدن ومضيق باب المندب؛ لتصبح قناة السويس في وضعية غير فاعلة وهنا يأتي دور البحرية الايرانية في التوسع العسكري إلى حدود البحر الأبيض المتوسط.

غير ان سقوط هذا المشروع جعلها تذهب نحو تفجير الوضع في البحر الأحمر حتى تمتلك بعضاً من التحكم على هذه المنافذ البحرية، وما وصول صواريخها إلى خليج عدن إلا رسالة تقول عبرها ما زلنا نطمح في مد النفوذ والسيطرة على هذا المكان ولن تكون منطقة خليج عدن بعيدة عن تصاعد الحرب في البحر الأحمر.

نقطة اخرى لها أهمية في هذه القراءة جاءت في هذه الورقة: (كانت أول عملية اختطاف قامت بها الجماعة ضد السفن في البحر الأحمر في 3 يناير 2022م عندما اختطف الحوثيون سفينة روابي الاماراتية واقتادوها وطاقمها الأجنبي إلى سواحل الحديدة. وأعلن التحالف الذي تقوده المملكة العربية السعودية في اليمن عن عملية قرصنة واختطاف بالسطو المسلح لسفينة الشحن روابي من قبل المليشيا الحوثية الإرهابية مقابل الحديدة، وقد افرج الحوثيون عنها لاحقاً بوساطة عمانية.

يقول الحوثيون حالياً ان بمقدورهم ضرب أي سفينة في البحر من أي منطقة في اليابسة. كثير من الصواريخ الباليستية التي استهدفت سفناً في البحر الأحمر وباب المندب اطلقت من معسكرات تتواجد في محافظات إب وذمار وتعز والبيضاء ومناطق اخرى.

ولم تقتصر هجمات الحوثيين على استهداف السفن في البحر فقد سبق ذلك استهداف الموانئ في جنوب اليمن حيث تتواجد الحكومة اليمنية المعترف بها دولياً بهدف ايقاف تصدير النفط، وهو ما حدث بالفعل. قال زعيم الجماعة عبدالملك الحوثي متفاخراً بدقة ضرباتهم العسكرية ضد الموانئ اليمنية: تمكنا من ضرب بزبوز النفط.

ويمكن ملاحظة حجم التحدي الذي تشكله هجمات الحوثيين من خلال تصريحات المسؤولين الأمريكيين الذين تحدثوا عن صعوبة مهمتهم في البحر الأحمر وخليج عدن).

يبدو التحرك الجغرافي لإيران في هذا المسار قد أعد له فلم تكن ممهدات الضربات السابقة إلا نوعية اختبارية لمكان العمل والتعرف على مقدرة رد الطرف الآخر عند نقاط المواجهة.

هذا النوع من العمليات تعد المهاد لتحرك الجانب العسكري غير انه لا ينطلق إلا وفق شروط الاستعداد القتالي له من الجاهزية ما تتطلبه مراحل تصاعد المعركة، وهو ما وصلت له جماعة الحوثي في ضرب العمق الاسرائيلي، ارتباك حركة الاقتصاد العالمي. لقد كانت تعد اليمن لمعارك طويلة تفقد فيها الدولة اليمنية مبادرة وقف اطلاق النار.

لكن من منطلق التحرك العسكري كانت بداية الاعمال نحو دول في الخليج العربي.. السعودية والامارات.

لكن مع توسع المشهد وذهاب الحرب إلى أبعد مسافات جاءت غزة نقطة تحول نحو حرب ليست محصورة عند حدود برية أو مسافات بحرية معينة، بل تكاد تدخل في اطار مشروع الشرق الأوسط الجديد.

لكن ماذا عن اللاعب الـدولي في المنطقة؟ لقد تركوا جماعة الحوثي حتى تغول فعلها وتجمدت تحركات الغرب كي تصبح من أوراق لعبة اسقاط المنطقة في دوامة الحروب الاهلية، وهي خطط تدخل ضمن مشاريع اشعال الحرائق، لكن هذه المرة بالقرب من منابع النفط، بل كذلك قطع الطريق كي لا يصل النفوذ الصيني أو الروسي إلى مكان ظل لعقود طويلة داخل نفوذ أمريكا والدول الغربية.

حتى ضرب حقول النفط في اليمن ومنشآت عملها له توابع على عمل شركات غربية مرتبطة بحركة المال في أسواق البترول، وهذا ما أدخل حكومة اليمن في هذا الوضع الاقتصادي القاتل والذي يذهب بالوضع نحو الانفجار بعد تدهور صرف العملة وتراجع مستوى دخل الفرد.

هي حلقات ما بين الداخل والخارج تجري نحو أهداف لقوى خارجية ربما تقود اليمن إلى التفكك لو طالت المسائل إلى أكثر من هذا الوضع.

لقد قدمت لنا هذه الورقة رؤية لأحداث لن تقف عند حدود آخر المسائل، طالما صوت السلاح هو المتحدث في الساحة.

لكن هناك تساؤل المواجهة والذي راح يتوسع مشهده عبر تصاعد قوة السلاح القادم نحو اليمن من إسرائيل وأمريكا وبريطانيا، وكأنها ترسل لنا رسالة بأن اليمن على موعد مع خارطة جغرافية ـ سياسية مغايرة لحالة الراهن لكنها تتحرك وفق مقاييس ومعادلات تعتمد عليها إعادة هيكلة المنطقة، ومما يظهر سوف تكون قيمة التغيير فيها مرتفعة إلى حد صدمة تخلق الشلل السياسي عند من لم يدرك ان الحرب لا تذهب نحو تحقيق الأهداف بمنطق القوة، بل هناك من الحروب ما تنقلب إلى كارثة على من اشعلوها وظنوا انها حرائق خارج حدود السيادة لكنها وهي في سرعة احتراقها تقذف لهيبها إلى عقر دار من تلاعب ولعب بها.